التائبون

أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

« قرآن كريم »

تأليف

الإمام

أبى العزائم

مختار أبو العزائم

مطبعة التوكل مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فتح أبواب التوبة واسعة للمذنبين والصلاة والسلام على الشفيع الأعظم والرسول السيد السند الأمين سيدنا ومولانا محمد القائل . صلوات الله عليه

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »

وبعد فما الحياة الانسانية الا تفاعل بين عاملين أساسيين فى تاريخ البشر منذ خلق الله آدم وصوره باليدين للحكمة الالهية البالغة التى هى أعداده لأن يكون خليفة عنه سبحانه فى هذا العالم

وهذا التفاعل هو ذلك الصراع العنيف بين قوتى الحق والباطل أو بين عالم الفضيلة والرذيلة أو بين معالم المعصية التى بها يبعد الانسان عن ربه بما كسبته يداه وبين مظاهر الرجوع اليه سبحانه بالتوبة إلى خالقه ومبدعه ومولاه

وهل كانت التوبة الا ثمرة هذا التفاعل ونتيجة هذا الصراع الذى يتسلط على الانسان فيقوده الى أوبة للحق حميدة حين يستمع إلى نداء الحق بعد أن أسرف فى ذنوبه ولج فى

طغيانه ، (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم).

هنالك تقوى عوامل الخير فيه وتبتعد دوافع الشر عنه فيصبح الانسان ملكا لا بل هو أعظم عند الله من ملك ذلك لانه نفذ من عوامل سيئة أحاطت به أحاطة السوار بالمعصم ومن دوافع للشر ملازمة له ملازمة الظل لصاحبه الى فسيح ملكوت الله تعالى وخصوصا عندما يجد لذة الأوبة الى الله تعالى من محبة الله تعالى له واجدا أثر ذلك فى صريح قوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

هذه هى التوبة وهؤلاء هم التائبون فأين نحن منها ومنهم نسأل الله تعالى أن يجملنا بحقيقتها وان يجعلنا من أهلها وأن يحقق للعالم الاسلامى صحة العودة الى الله تعالى بهذه التوبة النصوح التى ستجد أيها القارىء الكريم صفحة ناصعة من آثارها مبوبة فى هذا البحث القيم لأمامنا الراحل الكريم السيد محمد ماضى أبو العزائم تغمده الله برحمته .

جماعة أولى العزم

مقدمة الناشر

ماأحوج كل إنسان منا فى هذا العصر المادى المسرف فى ماديته إلى توبة نصوح يعرف فيها الطريق السوى فيلزمه ويدرك اخطار الطريق الوعر فيتجنبه.

ماأحوجنا نحن فى هذا العصر عصر التحرير أن نحرر نفوسنا مما انقض ظهورنا من الركون الى ماحرم الله. نحن جميعا فى حاجة ماسة الى توبة سواء. منا من أسرف على نفسه وانساق فى تيار شهواته حتى القت به بعيدا عما أمر به الدين والنهج القويم. أو الذى وفقه الله فهداه الطريق المستقيم. فانها بمثابة عهد نقطعه على أنفسنا أن لا نعرف الا الخير الحقيقى الذى أمرنا به الحق سبحانه وتعالى ليخرجنا به من الظلمات إلى النور

وإنى حبا فى الخير لجميع أفراد المسلمين آثرت أن أنشر هذا البحث القيم فى التوبة والتائبين لوالدى الراحل الكريم رجاء أن يعم النفع به والله أسأل أن يوفقنا جميعا إلى سواء السبيل . م؟

التوبة

هى الاقلاع عن الباطل قولا وعملا واعتقادا والرجوع الى الحق قولا وعملا واعتقادا . ولا تقشعر الجلود ولا تميل القلوب للتوبة الا بولاية من الله سبحانه وتعالى للعبد وعلم يتفضل به عليه يكشف له به الستار عن الباطل وقبحه وعن الحق والخير الذى ينال به الفوز حتى تحل الرغبة فى الحق محل الرغبة عنه والمسارعة الى الخير محل المسارعة الى الباطل وعندها يتمثل للسالك قبح عمله وسوء فعله وما فاته من الخير العظيم فى زمان معصيته وما ارتكبه من الإثم العظيم وتعديه حدود ربه سبحانه وتعالى ويتمثل ما كان يناله من الخير وما اكتسبه من الآثام فتضيق عليه الأرض بما رحبت ويخرج بالعزم من عوائده ومألوفاته ومخالفة أمر ربه وتضيق عليه نفسه فيفر منها الى الله تعالى بالحزن والندم الشديدين حتى تهب عليه نسمات وسعة الفضل العظيم وشامل الرحمة ونور غافر الذنب وقابل التوب . فالتوبة هى اولا أن يتوب الله على العبد

بما يرد عليه منه سبحانه وتعالى من نور العلم الذى يشعر قلبه بفضل الله عليه وحسن عنايته به فى الدنيا والآخرة ويشهده سوء صنيعه مع الله سبحانه وتعالى وظلمه لنفسه بمخالفته أمره سبحانه فيقبل تائبا على ربه ولولم تسبق التوبة من الله للعبد فضلا منه وكرما لم يستطع العبد أن يتوب اذ لاحول ولا قوة الا بالله فالتوبة عن الكشف والوجد دليل عناية الله بالعبد وبرهان على اقباله سبحانه وتعالى عليه والتائبون قليلون لأن أهل محبة الله قليلون قال الله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ودليل ماقررت قوله تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما)

فقوله يعملون السوء بجهالة دليل ماقررته أن فاعل السيئات جاهل ولو علم أنها ذنوب . لجهله بعظمة من خالفه وعقوبته عليها ولا توبة لتوبته مادام جاهلا هذا الجهل حتى يرد عليه العلم من الله فيكشف له حقيقة قبح عمله وسوء مواجهته لربه .

وقوله (ثم يتوبون من قريب) أى عند انكشاف الحق

لقلوبهم بما ورد عليها من الله تعالى وهذا لا ينافى ما قرره أهل التفسير فى قوله (من قريب) أى قبل الموت بزمن يسع التوبة متعقلين لها (فأولئك يتوب الله عليهم) وتوبة الله تعالى عليهم أن يورد عليهم هذا الوارد الربانى ويوفقهم للاعتراف والندم والعزم على عدم العودة إلى المعصية حتى يقبل منهم توبتهم ولديها يبدل أعمالهم السيئة بأعمال حسنة بتوفيقه. وعقائدهم الباطلة بعقائد القرآن بعنايته . وأحوالهم الشريرة بأحوال الصديقين بحسن توجهاته قال تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) ولديها يكونون أبدالا للصديقين وأئمــــة للمتقين يحبهم الله تعالى ويحبونه .

ما قاله أهل المعرفة فى التوبة

أسأل الله أن يوفقنى وإياك للتوبة النصوح الخالصة لذاته الأحدية من الذنوب التى توجب النقم وتغير النعم وتحبس غيث السماء وتديل الأعداء قال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) عن أنس ابن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

وإذا أحب الله عبــــدا لم يضره ذنب) ثم تلا (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) قيل يا رسول الله وما علامة التوبة قال الندامة عن أنس بن مالك أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما من شىء أحب إلى الله من شاب تائب) والتوبة أول منزل من منـازل السالـكين وأول مقـام من مقامات الطالبين وحقيقة الرجوع إلى الله والندم على ما فات :

الى قابل التوب المجيب أنيب ... وأسأله فضلا على يتوب

يطهر أعضائى يزكى لطيفتى ... لتشرق لى بعد الحجاب غيوب

فأنى أرى أمارتى فوق طاقتى ... يمثل لى حال المتاب رقيب

أيارب أعضائى ونفسى وشهوتى ... أيا رب طهرها فأنت مجيب

وعفوا عن الزلات والذنب كله ... تنزل وليا أنت أنت حسيب

وهب لى العناية والولاية والهدى ... أمتنى على الإسلام فهو نصيب

وقلبى فطمئنه بذكرك أغننى ... بفضلك يا مولاى أنت قريب

قال النبى صلى الله عليه وسلم الندم التوبة — فأهل الأصول من أهل السنة قالوا شرط التوبة حتى تصح ثلاثة أشياء الندم على ماعمل من المخالفات . وترك الزلة فى الحال. والعزم على أن لا يعود

إلى مثل ما عمل من المعاصى . فهذه الأركان لا بد منها حتى تصح التوبة - وسئل ذو النون المصرى عن التوبة فقال توبة العوام من الذنوب. وتوبة الخواص من الغفلة . وكان عبد الله بن على بن محمد التميمى يقول شتان ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات . وتائب يتوب من رؤية الحسنات وقال ذو النون حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يطيب لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى فى كتابه بقوله (وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) وقال ابن عطاء التوبة توبتان توبة الانابة وتوبة الاستجابة فتوبة الانابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرم الله تعالى وقيـــل لأبى حفص لم يبغض التائب الدنيا ؟ قال لأنها دار باشر فيها الذنوب فقيل له أيضا هى دار أكرم الله فيها التائب بالتوبة فقال إنه من الذنب على يقين ومن قبول توبته على وجل . وقال رجل لرابعة إنى قد

أكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت هل يتوب على فقالت لا بل لو تاب عليك لتبت .

قال يحيي بن معاذ زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها وعن أبى عمر الانماطى ركب على بن عيسى الوزير فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امرأة قائمة على الطريق إلى متى تقولون من هذا من هذا . هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون فسمع على بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله واستعفى من الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها قال الله تعالى فى خطاب العموم (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) معناه ارجعوا اليه من هوى نفوسكم ومن ملازمة شهواتكم حتى تظفروا بمعيـــة ربكم عز وجل فى نعيم لا زوال له ولا نفاد ولكى تسعدوا بجنة عالية قطوفها دانية وتنجوا من النار : فهذا هو الفلاح :

التـــــوبة النصوح

قال تعالى فى مخاطبة الخصوص (يا أيها الذين آمنـــوا

توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) فنصوحا معناه خالصة لله تعالى وهى الاستقامة على الطاعة من غير روغان إلى معصية كما تروغ الثعالب وأن لايحدث نفسه بعودة الى ذنب متى قدر عليه وأن يترك الذنب لاجل الله تعالى خالصا لوجهه الكريم كما ارتكبه لأجل هواه الذميم مجمعا عليه بقلبه وشهوته فمتى أتى الله عز وجل بقلب سليم من الهوى وعمل خالص مستقيم مع السنة فقد ختم له بحسن الخاتمة وحينئذ تدركه الحسنى السابقة وهذه هى التوبة النصوح وبها يكون هذا العبد هو التواب المتطهر الحبيب الذى سبقت له من الله الحسنى ومن تداركه ربه بتوبته رحمه بها من سابقة السوءى وليس أحب إلى الانسان الكامل من أن يكون ممن ذكرهم فى قوله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وكما قال ﷺ (التائب من الذنب كمن لاذنب له) وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال هى ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح والعزم أن لا يعود إلى ذنب وقال أبو محمد سهل رحمه الله ليس من الأشياء ما هو أوجب على الخلق من التوبة

ولا عقوبة آلم عليهم من جهل علم التوبة . وكان يقول من ظن إن التوبة ليست بفرض فهو كافر : ومن رضى بقوله فهو كافر ـ وقد جعل سيدنا على كرم الله وجهه ترك التوبة منزلا للعمى وقرنه باتباع الظن ونسيان الذكر فقال من عمى نسى الذكر واتبع الظن وطلب المغفرة بغير توبة نصوح ـ ففرض التوبة الذى لا بد للتائب منه هو الاقرار بالذنب والاعتراف بالظلم ومقت النفس على الهوى وترك الاصرار الذى كان عقده على عمل السيئات وإصابة الحق بقدر طاقته ثم الندم على ما فات من السيئات .

التمس التوبة بعشر خصال

ومجمل ما على العبد فى التوبة وما تعلق بها عشر خصال أولها ـ حق عليه أن لا يعصى الله تعالى . والثانيه ـ إن ابتلى بمعصية لا يصبر عليها . والثالثة ـ التوبة الى الله تعالى منها والرابعة ـ الندم على ما فرط منه . والخامسه ـ عقد القلب على الاستقامة على الطاعة الى الموت . والسادسة ـ خوف العقوبة والسابعة ـ رجاء المغفرة . والثامنة ـ الاعتراف بالذنب . والتاسعة

اعتقاد أن الله تعالى قادر عليه ذلك وأنه عدل منه . والعاشرة ـ المتابعة بالعمل الصالح قال ﷺ (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) والمتصف بتلك الخصال كلها هو التائب حقا ومن قصر فى صفة منها كانت توبته بقدر مجاهدته لنفسه وإذا لاحظت عناية الله عبدا يسر له جميعها وتفضل بمحبته سبحانه وتعالى له .

إرع الأمانة

قال بعض العارفين إن الله تعالى يوحى إلى عبده سرين أحدهما إذا ولد وخرج من بطن أمه يقــــول له عبدى قد أخرجتـــــك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وأتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر كيف تلقانى كما أخرجتك . وسر عند خروج روحه يقول عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عندك هل حفظتها حتى تلقانى على العهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والحساب . فهـــذا داخل فى قوله عز وجل

(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) وفى قوله تعالى (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم)

فعمر العبد أمانة عنده . إن حفظه فقد أدى الأمانة وان ضيعه فقد خان الله (إن الله لايهدى كيد الخائنين) وفى الخبر عن ابن عباس رضى الله عنه (من ضيع فرائض الله عز وجل خرج من أمانة الله . وسئل يحي بن معاذ كيف يصنع التائب فقال هو من عمره بين يومين . يوم مضى ويوم بقى فيصلحهما بثلاث أما ما مضى فبالندم والاستغفار وأما ما بقى فبترك اللبس وأهله وصحبة الصالحين ومجالسة الذاكرين والثالثة لزوم تصفية الغذاء والدأب على العمل .

استعظم ذنبك

ومن علامة صدق التوبة رقة القلب وغزارة الدمع وفى الخبر (جالسوا التوابين فأنهم أرق الناس أفئدة) . ومن التحقق بالتوبة استعظام الذنوب كما جاء فى الخبر (المؤمن الذى يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق الذى يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره) وقال بلال بن سعد لاتنظر الى

صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت. أوحى الله الى بعض أوليائه - لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظمة مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها فإنما عظمت الذنوب لعظمة المواجه بها وكبرت فى القلوب لمعرفة ذى الكبرياء ومخالفة أمره بمزاولتها. فلم يصغر ذنب عند ذلك ولذلك كانت الصغائر عند العارفين كبائر .

وقال بعض الصحابة للتابعين . إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها فى عهد النبى ﷺ من الموبقات - فلم يكونوا يعنون أن الكبائر التى كانت على عهد النبى ﷺ صارت بعده صغائر ولكن كانوا يستعظمون الصغائر لعظمة الله تعالى فى قلوبهم ولم يكن ذلك فى قلوب من بعدهم .

مشهدان فى التوبة

قال بعض العارفين حقيقة التوبة أن تضع ذنبك بين عينيك وقال آخر ، حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك . وهذان

طريقان لطائفتين وحالان لأهل مقامين فأما ذكر الذنوب فطريق المريدين وحال يحصل لهم بموجبها بتذكرها الحزن الدائم والخوف الملازم وأما نسيان الذنوب شغلا عنها بالذكر وما يقبل عليه من مزيد الأعمال . فطريق العارفين وحال المحبين ووجهة هؤلاء شهود التوحيد وهى مقام فى التعرف ووجهة الأولين مشاهدة التوقيف والتحديد وهى مقام فى التعريف ففى أى المقامين أقيم عبد قام بشهود وجهته وعمل بحكم حالته ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام مشاهدة التعريف وإن كانت هذه أوسع وأكثر إلا أنها فى أصحاب اليمين وفى عموم المقربين وشهادة التوحيد أضيق وأقل وأهلها أعلى وأفضل وهى فى المقربين وخصوص العارفين

الذنب ظلمة فى القلب

قال بعضهم ان العبد إذا عصى أظلم قلبه ظلمة يثور على القلب منها دخان يشهده الايمان فهو مكان حزن العبد الذى تسوءه سيئته ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم والبيان كما

تحجب السحابة الشمس فلا ترى. فاذا تاب العبد وأصلح انكشف الحجاب فيظهر الإيمان فيأمر بالعلم كما تبرز الشمس من تحت الحجاب ومن هذا قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قالوا هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ويصير الايمان تحت الحجاب فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وعندها ينكس أعلاه أسفله إذا استحكم سواده فحينئذ يكون قدمر دعلى النفاق فاطمأن له وثبت عليه إلى أن ينظر الله تعالى اليه فيعطف بفضله عليه

بنى الكفر على أربع

جعل سيدنا على كرم الله وجهه الغفلة احدى مقامات الكفر وقرنها بالعمى والشك وميل صاحبها عن الرشد ووصفها بالحسرة فقال فى الحديث الذى يروى من طريق أهل البيت قام رجل فقال يا أمير المؤمنين اخبرنا عن الكفر على ما بنى . قال على أربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمى نسى الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الأمانى فأخذته

الحسرة والندامة وبداله من الله مالم يكن يحتسب ومن شك تاه في الضـلالة وقد وصف الله تعـالى المؤمنين بترك المعصية ودرء السيئة بالحسنـة في قوله تعـالى (ويدرءون بالحسنة السيئة) وقد جعل هذا من وصف العاملين الذين صبروا فقال تعالى (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار)

أين أنت من التوابين

هـذا ما أحببت أن أورده عليـك من أحكام التوبة ووصف التائبين لتزن به أحوالك عند انابتك الى الله تعالى ورجوعك الى طاعته سبحانه فأن وجـدت ما أورده الله على التائبين من حلاوة الاقبال عليه ولذة مواجهته تعالى بلا تكلف منك (فقل الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

وان لم تجد من نفسك العون فتيقن أن ذلك من نزوع نفسك

الى حظ ترجوه عاجلا أو آجلا أو لتوبتك على غير مشهد من مشاهد التوحيد أو لشوب فى اخلاصك فسارع ياأخى إلى مجالسة التوابين وسماع علومهم منهم لتشرق على قلبك أنوار التوحيد وتعرف قدر ماتفضل به عليك ذو الفضل العظيم وعظيم مااجترحته فى جانبه سبحانه وتعالى حتى تنجذب نفسك بالكلية الى الانابة الى الله فتكون توبتك نصوحا وتوصف بأنك من التوابين وتتلذذ بمحبة الله لك فتجدد التوبة لكل عمل تعمله لعلمك بقدر نفسك وقدر عملك ومعرفتك مقام ربك ولو كان فى نظرك قربة لما تشهده فيه من عجزك عن القيام بواجب شكر المنعم المتفضل حتى تنبلج لك أنوار التوحيد فيحصل البسط والأنس فتنسى ذنبك وتقبل على ربك بظاهرك وباطنك وتكون ممن قال الله تعالى فيهم (أولئك لهم الامن وهم مهتدون) .

توبة العامة والخاصة وخاصة الخاصة

العامة يجددون التوبة عند حدوث الذنب والخاصة يجددون التوبة عند أعمال البر لشهودهم التقصير فيها وخاصة الخاصة يجددون التوبة بعد عمل القربات لشهودهم العمل لأنفسهم لفهمهم التوحيد

بالتوحيد وهنا أمسك القلم عن توبة المحبوبين وانابة المرادين لعلو مشاهدهم وخفاء مواجيدهم قال الله تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فأن العبارة لاتفى بمشاهدهم والاشارة لاتبين مواهبهم التى فضل الله بها عليهم وانما هو فضل الله العظيم يؤتيه من يشاء وقد كشفت لك الستار عما يمكن أن يبلغه مريد الحق اذا عمل بعلمه وما يورثه الله تعالى للعاملين بعلمهم على عن أن يسطر على الاوراق قال الله تعالى (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) وقال سبحانه وتعالى (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) وكفى شرفا بالتوبة أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه يحب التوابين ومن علم مقدار ما يتفضل الله به على من يحبه يعلم قدر التوبة ويسارع اليها ويفوز بالفضل العظيم .

كيف تكون التوبة

وإنى انبهك ايها الأخ المسلم أن تلجأ الى التوبه عند كل ذنب واثقا بالله سبحانه وتعالى فى وسعة رحمته معتقدا أنك عبد وأنه رب غفور عفو تواب كريم ولا يهولنك عظم الذنب فأن ذلك لجهلك بواسع مغفرة ربك ولا حصوله منك بعد

التوبة فأن ذلك لجهلك بواسع عفوه بل سارع إلى التوبة عازما على عدم الرجوع إلى الذنب بأخلاص وصدق ولو أذنبت فى اليوم مائة مرة وإنما شنع العلماء على التائب العاجز عن عمل الذنب فأذا قدر عاد للذنب لأنه لم يتب لله مخلصا . وعلى من تاب بعد الوقوع فى الذنب إذا اصابته بلية باقتراف الذنب فيتوب منتظرا زوال البلية كماذموا من تاب عازما على العودة وهؤلاء لم يكونوا من التائبين عندنا ولكنهم لاعبون وهم مذنبون بتوبتهم ويجب أن يتوبوا من تلك التوبة لانها ليست توبة حقا ولكنها ذنب آخر يضاف إلى ذنوبه ودليل ذلك قوله تعالى (حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت أنه لاإله الا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وقوله تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنالهم عذابا أليما) وأمثال هؤلاء يجب عليهم قبل التوبة أن يسارعوا إلى مجالس العلماء الربانيين ويستفتونهم فى التوبة حتى يعلموا مم

وكيف يتوبون . ولمن يتوبون لأن أمثـال هؤلاء من الغافلين الذين لاترفع أعمالهم لجهلهم وغفلتهم فى العمل والجاهل لايقبل الله منه قليل العمل ولا كثيره .

التوبة من التوبة

كان السلف الصالح يبكون بعد الاعمال الصالحة خشية أن ترد عليهم حتى قال بعضهم التوبة من التوبةالزم .وإن ظهر لبعض من لا معرفة لهم باسرار التوحيد خطأ قائل هذه الكلمة ولكنهم لو كوشفوا بمراده لتابوا من توبتهم فأن التائب إلى الله إذا شهد عمله فى توبته وأعتقد أنه أورد هذا العمل على الله بحوله وقوته فهو مشرك شركا خفيا فمثله يتوب لامن التوبه ولكن من ذنب آخر هو شهوده عمله فيه لأن التوبة كما قررت آنفا فضل من الله يتفضل الله به على من يحبهم من عباده فهو وارد من الحق على الخلق وهذا لاهل مشاهد التوحيد فالرجوع إلى الله بالتوبة فضل الله على العبد فى الحقيقة واقبال منه عليه فأذا شهد العمل لنفسه واطمأن قلبه به فقد جهل فضل ربه عليه بتوبته ونسى نعمة المنعم عليه برجوعه فيكون قد بعد عن الله بما يظن أنه قرب

إليه به فيتوب من هذا الذنب الخفى إلا على اهل مشاهد التوحيد . فقوله تاب من التوبة معناه تاب من ذنب ارتكبه فى التوبة وللتوابين الناجين مشاهد فى قرباتهم وأذواق راقية فى عباراتهم اسأل الله تعالى أن يمنحنا فضله العظيم وأن يجعلنا من التوابين المتطهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التوبة عمل من أعمال القلوب والجوارح

واعلم أن من أخذ نفسه بالعزم على استبدال قبائح الاعمال بمحاسنها والاخلاص فى الرجوع إلى الله . والصدق فى العمل له . وملاحظة التوحيد الخالص عند القيام له فهذا هو العمل القلبى والعمل بالجوارح هو القيام بالفرائض وملازمة سنن رسول الله وترك ما كان يعمل من قبيح العمل والمسارعة إلى الواجب والمندوب ليستبدل كل قبيح عمله . بعمل حسن يعمله وأعد لكل خصومة صلحا ولكل ذلة آتاها للخلق إحسانا يحسن إليهم لوجه الله تعالى تشبها برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بتائب من أهمل عمل القلب وسارع إلى عمل الجوارح

ولا من أهمل عمل الجوارح وسارع إلى عمل القلب لأنه يتوب من عمل عمله بقلبه وجوارحه وكل من القلب والجوارح مطالب بالتوبة حتى يتفضل الله عليه بمحبته حقا لأن النعيم فى الدار الآخرة للروح والجسم والشقاء فى الدار الآخرة للنفس والجسم ومتى زكت النفس أفلح الجسم والنفس وسمى بمجموعهما مؤمنا فأن كلمة الايمان مدلولها عمل القلب وعمل الجسم وليس بمؤمن من أعتقد وترك الاعمال الظاهرة فأنه كافر عند الله ولا من عمل بالجوارح وترك الاعمال القلبية فأنه منافق عند العلماء انما المؤمن حقا من جمله الله باليقين الحق ووفقه للأركان والمندوبات اذن فالتوبة لابد أن تكون بالقلب والجوارح

التظاهر بالتوبة

إن كثيرا من أهل الجهالة يتكلفون الأعمال الصالحة أمام الخلق وقلوبهم قلوب الشياطين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ومن أهل الجهالة من يتكلف الخفاء بالأعمال عن الناس وهمته متوجهة الى الشهرة والظهور فتكون الأبدان متقلبة فى الطاعات والقلوب مظلمة بالغفلات ومنهم من يتكلف الخروج عن

الاعتدال ظنا أن ذلك تزكية للنفوس وتهذيب لها كما فعل بعض الأفراد الذين خرجوا إلى الغابات فرارا إلى الله تعالى فيتشبهون بهم فى أعمالهم البدنية. ويجهلون مشاهدهم العلية. فتكون لهم بعد ذلك شهرة بين الناس ومنزلة فيقبلون على الدنيا كالذئاب ومنهم من يحفظ كلام القوم ويلقيه على العامة ليجذب قلوبهم اليه ويسلب أموالهم منهم وهم فى عملهم هذا يروغون روغان الثعالب

ومنهم من ينظر إلى أهل زمانه نظر ازدراء فيمقتهم ويبحث عن عيوبهم ويحفظ ماورد فى ذم الأعمال السيئة والبدع المضلة جاهلا بحقائقها غافلا عن سر مدلولها وعمن قيلت فيهم فيقوم مشنعا على العامة فى أعمال ليست من البدع ولا من الضلالة فيكون آلة للشيطان يفرق جماعة المسلمين فيشغلهم عن الموارد الهنية. والمشاهد العلية. ويظن أنه مجدد للسنة وهو مغرور محجوب مبعود عن الله ومنهم من يشتغل بالتفضيل فيفضل زيدا على عمرو حتى يشغل المسلمين عن سنى الأحوال ومقبول الأعمال كما فعل الرافضة ومن غالى من الشيعة وكما فعل بعض جهلاء المتكلمين كل ذلك من الجهل بالله ومن الجهل بالنفس

والأولى بهؤلاء أن يبحثوا عن مرشد كامل يتلقون عنه الحكمة والمعرفة ويتركون شأن العامة فأنهم على خير كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اللهم إيمانا كايمان العجائز وكما قال بعض العارفين اللهم إيمانا كإيمان الاميين وقد بينت فى كتاب تذكرة المرشدين والمسترشدين ماينبغى أن يكون عليه العالم والمتعلم والمرشد والمسترشد والله أسأل أن يحفظ جماعة المسلمين من الأمراض المنتشرة بين هؤلاء وهم الذين فرقوا الأمة إلى بضع وسبعين فرقة أعاذنا الله من شرهم وقد بينت فى باب تراجم أفراد الصحابة وأئمة السلف نماذج للصراط المستقيم لطالب الحق سبحانه يهتدى بها فى سيره وتستنير بها سريرته لأنهم أئمة الهدى الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية لطريقهم فى كل يوم أربعين مرة لقوله تعالى (إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) فهم الذين أنعم الله عليهم أعاننا الله على انتهاج سبيلهم ووفقنا للعمل الذى يحبه ويرضاه آمين .

التوبة عمل من سبقت لهم من ربهم الحسنى

هؤلاء هم الذين عناهم جل وعلا بقوله (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) وهذه الآية الشريفة فصلت لنا اجمالا ما كملهم الله تعالى به من المقامات والأحوال فان المؤمن الكامل الذى جمله الله بما كان عليه رسول الله ﷺ هو وأصحابه لا يكون من أهل هذه الفرقة إلا إذا جمع الله له تلك المعانى ويسرها له وسهلها عليه .

أنس أهل التوبة بالقرآن

القرآن المجيد موردهم الروى وروضهم الجنى وحوضهم المورود وكوثرهم المشهود وميزان أحوالهم ومرجع مقاماتهم يسألونه قبل العمل فان أذن سارعوا، وإن منع تركوا، واستغفروا فهو الإمام الناطق وإن صمت لأنهم يسمعونه عن رسول الله ﷺ فهو الناطق لهم ﷺ على ألسنتهم به فسمعته آذان قلوبهم

حضورا ووجودا من حضرة رسول الله ﷺ وإن كان التالى له إنسانا آخر ولا تعجب أيها السامع فان للرجال أعظم قسط من مراتب الهداية التى أشار الله تعالى اليها بقوله سبحانه (اهدنا الصراط المستقيم) فإن مراتب الهداية وإن جلت أنواعها عن الحصر أصولها عشرة، أولها كلام الله مشافهة للعبد كما حصل لرسول الله ﷺ وكما حصل للكليم عليه الصلاة والسلام ووحيه الذى يوحيه بنفسه لعبده ووحيه سبحانه وتعالى بطريق الملك ثم التحدث لقوله ﷺ (إن كان منكم محدثون فعمر) ثم الالهام بمراتبه وأقلها الرؤيا الصادقة التى هى بعد مقام الاسماع والفراسة والفهم . ولما كان لرسول الله صلوات الله وسلامه عليهم من مراتب الهداية مقامات خصوا بها على نبينا وعليهم الصلاة والسلام واشترك الرجال معهم فى بقيتها كان لأهل الفرقة الناجية قسطا وافرا من الوحى بملك الإلهام ولا تنزعج أيها السامع فان الله أوحى إلى أم موسى وأوحى إلى النحل وأوحى إلى الأرض وهؤلاء يتجلى لهم الحق سبحانه فى كلامه فتسمعه قلوبهم عنه سبحانه ويبلغ بهم القرب

إلى فهمه كما ورد عن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه حين سئل فقال : أو فهم يعطاه عبد مؤمن فى كتاب الله : فلتالى القرآن حق تلاوته قسط وافر من مشاهد أسراره وفهم حقائقه وذوق معانيه وأهل الفرقة الناجية هم الذين فيهم قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

وقفت بهم الهمة العلية على القرآن فأحلوا حلاله وحرموا حرامه لو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوها أو بمفارقة أموالهم وأولادهم لفارقوها . فرحين بالسمع والطاعة تجلت لهم حقائق القرآن جليه وانبلجت لهم أنواره العليه ظاهره فلم تبق لهم همة الا فى القرآن ولا رغبة الا فيه أحبوا القرآن حبا ينبىء عن كمال حبهم للمتكلم سبحانه. كاشفهم الله تعالى بمراده فى كلامه وبحكمته فى أحكامه . فكان سبحانه وتعالى أقرب اليهم من أنفسهم وتجلى لهم سبحانه وتعالى فى كلامه العزيز حتى كان الرجل منهم إذا سئل لم تعمل هذا؟ يقول أمرنى القرآن ولم تترك هذا ؟ يقول نهانى القرآن، وإذا طلب منه أمر يقول مه حتى استشير القرآن فيقرأ القرآن المرة والمرتين حتى تتضح له حقيقة ماله وسر قصده فيسارع للتنفيذ أو للترك . آنسهم الله بجماله وجذبهم اليه سبحانه

بعامل محبته فكانوا مع الله وهم فى تلك الدار الدنيا مع ما يحيط
بهم من كثيف الحجب وظلمات الأهواء فكيف بهم اذا فارقوها
إلى دار القرب والشهود ومنزلة الود والمواجهة . سبحان الله هم
الرجال حقا وهم أئمة أهل هذه الفرقة الذين بشر بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله (لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق
حتى يأتى أمر الله وهم على ما هم عليه لا يضرهم من خالفهم) وقوله
صلى الله عليه وسلم) تركت فيكم ثقلين لن تضلوا بعدهما كتاب
الله وأهل بيتى) والمراد بأهل البيت حملة العلم بالله سبحانه وتعالى
الذين كاشفهم الله تعالى بظاهر القرآن وباطنه وحده ومطلعه ممن
جعلهم الله بحقيقة النسب المحمدى الروحانى بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم (سلمان منا أهل البيت) وتبنيه صلى الله عليه وسلم زيدا
رضى الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم (أدخل الإسلام بلالا
فى نسبى) وخير الناس من اصطفاهم الله تعالى فجعلهم بالنسبين
واختارهم لأن يكونوا ورثة لخاتم رسله وأنبيائه صلى الله عليه
وعليهم . فاهل السابقية هم أهل القرآن وهم المعنيون بقوله
صلى الله عليه وسلم (آل القرآن آل الله) وهم أهل الله

الصالحون الذين اتصل نسبهم بربهم لاتصالهم بحبل الله المتين الذى هو القرآن المجيد ومن ذاق حلاوة القرآن وصل الى الله بأقوى سبب ، وصلا لا ينقطع بعده ، فان القرآن صفة من صفات الله ومن اتصل بصفة من صفات الله تعالى اتصل بالله تعالى لانه بتلاوته لكلام الله ملاحظا أنوار المتكلم عاملا بالقرآن يتصف بالكلام والله متصف بالكلام وأكمل ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى التخلق بأخلاقه فان الله سبحانه وتعالى يحب صفاته ويحب مقتضياتها ظاهرة فى عباده وأحب عبد لله من جمله الله بما يحب من صفاته سبحانه وجعله مظهرا لاشراق أنوار مقتضياته .

وتالى القرآن جمله الله تعالى بصفة من صفاته العلية . والعامل بالقرآن كمله الله تعالى بأنوار مقتضيات صفاته الأزلية . فالله سبحانه وتعالى المعبود والمتمسك بالقرآن هو العابد . والله جل جلاله الهادى والعبد هو المهتدى . والله سبحانه الموفق والعبد هو الموفق فكأنه اتصف بالصفات المحبوبة لله تعالى وهى الكلام لتلاوته

للفظه فهو متكلم فى مكانته لأن الكلام لا بد أن يكون بصوت وحرف . وهناك جامعة تجمعه بربه وذلك من حيث أنه متصف بأجمل صفة يحبها الله سبحانه وتعالى والمتصف بصفة يحبها الله تعالى يحبه الله تعالى وبعمله بالقرآن يكون عاملا بعمل يحبه الله تعالى والعامل بعمل يحبه الله تعالى محبوب لله تعالى (فالقرآن طهور الحب وحلل القرب) ولا يوفق للعمل بالقرآن إلا من جذبته العناية واقتطعته المشيئة واختطفته محبة الله السابقة له وأهل هذه الفرقة هم الذين يتعهدون القرآن حق تعهده ويتلونه حق تلاوته تبلغ بهم حالتهم فى تلاوتهم أنهم يكاشفون بأنوار مجالستهم للمتكلم سبحانه سر قوله ﷺ يقول الله تعالى (أنا جليس الذاكرين) ولأجل أن تسارع يا أخى الى التجمل بأحوالهم أفصل لك ما كانوا عليه من تعهد القرآن المجيد والقيام بتلاوته حق التلاوة .

تخلق أهل التـــوبة بالقرآن

يقرأ المؤمن القرآن متدبرا فيتحقق منـه فى القسم الألهى بالعلم النافع ذوقا وحالا فاذا قرأ أخبار الرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام نظر بعين فكرته وشهد ببصر عبرته ماأدى الى غضب الله فاجتنبه . وما أدى إلى رضوان الله فجاهد نفسه أن يتخلق به . ثم نظر الى ما كان عليه رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من الصبر على مالا تتحمله القوى البشرية فيصبر عنـد المقتضيات على قدر منزلته تشبها بهم صلوات الله وسلامه عليهم وما كانوا عليه من الرحمة بالخلق والحرص والغضب لله عنـد مقتضاه . والغلاظة على أعداء الله عند لزومها . فيجاهد نفسه أن يتشبه بهم عليهم أفضل الصلاة والسلام فيما يعتوره من الشئون المناسبة لمكانته ثم يجتهد أن ينبه اخوته المؤمنين على الأعمال التى أوعـد القرآن فاعليها بسوء العاقبة بالحكمة والموعظة . وينشط العاملين من إخوته بما مدحه القرآن من الأعمال ويمدحهم مدحا يقوى به الايمان فى قلوبهم ويشجعهم على ذلك ثم يتدبر آياته فى الأحكام

الشرعية ويتحقق أن هذا الأمر من الله تعالى خاصا به دون غيره فيسارع الى تنفيذ ماأمر الله به عند الاستطاعة غير ناظر الى غيره ولو أهمل وترك فان المرء المؤمن أشفق الناس على نفسه وأرحم الناس بها فيرى انه أولى بنيل الخير الأبدى من كل الخلق فتى فهم من القرآن أمرا بمعروف أو تنبيها بفعل خير أو ترغيبا فى عمل صالح سارع اليه كائنا ما كان وترك غيره حتى اذا أعانه الله تعالى على فعل الخير واطمأن على نفسه بالقيام به حق القيام فالأولى له بعد ذلك ان يرشد اخوته المؤمنين وأن أهمل القيام بما علم وقام فنظر الى اهمال الخلق ولم ينظر الى عيوب نفسه وتقصيرها كان ذلك سببا فى هلاك نفسه وكان كالشمعة تضىء لغيرها وتحترق . وإنما يقرأ المؤمن القرآن ليتجمل بجلاله وينهل من طهوره المختوم ويتجمل بجماله ويتناول من لذيذ معانيه قوتا لقلبه . وغذاء لروحه . وطعاما لنفسه . ومن علامة الغفلة أن يقرأ الانسان القرآن ثم يسخط على الناس ويقول هلك الناس وهو فى الحقيقة الهالك : أنت أيها القارىء للقرآن عليك ان تسارع إلى نجاة نفسك وما عليك من غيرك

فاذا تجملت بجمال القران وأطاعتك نفسك كنت داعيا الى الحق بعملك قبل قولك وبقولك قبل مالك وأشرقت منك أنوار القرآن على أهل القران فكنت بينهم كالشمس المشرقة يهتدون بنورك ويستضيئون بقولك وعملك . إذا سمعت ربك سبحانه يقول يا أيها الذين آمنوا فاستجب لربك وقل لبيك ربي وسعديك واصغ بإذن قلبك إلى ما يقوله ربك فان أمرك فسارع الى السمع والطاعة وانظر بعين بصيرتك الى نفسك فأنت أرحم الناس بها وقم فخلصها من خطاها وهواها . وغض بصرك عن غيرك فانما أنت المنادى بنفسك من ربك والمنادى هو الله لا أنت فاستجب لله أولا ثم قم مناديا بنداء ربك لانك عملت بما أمر . فاذا تلوت الآية التى فيها الثناء من الله والبشائر منه سبحانه فتدبرها ببصر ناقد . وقلب واجد وتمثل قدر الثناء من الله تعالى الذى تسارع اليه الأرواح الطاهرة وجاهد نفسك كل المجاهدة ان تلتحق بمن اثنى الله عليهم أو تتشبه بهم فتكون ممن أثنى الله عليهم وتشبه بهم

وأى مجد أعظم درجة من مجد من أثنى الله تعالى عليه ثم تأمل فى الاعمال التى بشر الله عليها عباده ونافس فى أن تكون ممن بشرهم الله تعالى بقوله (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) ثم تنبه عند تلاوة الآيات التى يذكر الله فيها النعيم الذى أعده لعباده المؤمنين والخير الذى جعله لهم عند ذكر الجنة ووصفها وبيان ما فيها مما تشتاق اليه النفوس وتبذل لاجله كل نفيس وغال فاذا قرأت تلك الآى فتمثل بخيالك الملاذ الجسمانية النفسانية والنعم العظمى التى لا نصب فيها ولا زوال لها وتدبر ما تناله فيها من مشاهدة وجه ربك جل جلاله ونيل رضوانه ومجاورة رسله الكرام وأهل محبته من صفوة عباده واستسهل كل ما يوصل اليها فى نظرك وانظر اليه حقيرا بالنسبة لها ولو كان فى ذلك بذل المهج فضلا عن الأولاد والأموال فأن نفسا فى الجنة خير من الدهر كله فى أكمل نعيم الدنيا وكيف لا ومهما كمل نعيم الدنيا فذكر الموت ينغصه وكل لذة تنقلب ألما إذ تذكر الانسان سوء عاقبتها وكل ما رغبت نفسك فيه فهو مشوب

بالاوصاب والبلايا التى ينالها الانسان فى جمعه. ومايقتضيه جمعه من ضرر الغير فشتان بين نعيم مقيم فى جوار رب العالمين وفى أمانه ورضوانه الاكبر وبين مالا ينال الا بالمضار والاوصاب ولادوام له وعاقبته العذاب. لعلك إذا تخيلت تلك المعانى فى تلاوتك ظهرت لك الجنة جلية فشهدت مافيها حتى كانك على أبوابها :

جنة عرضها السموات والارض

أعدت والوجه مرأى الرجال

وبذلك تقبح فى عينك ملاذك وتسترذل حظوظك ومتى استقبحت آمالك فى الدنيا واستنكفت أن تبيع النعيم الابدى ورضوان الرب العلى بلذة عاجلة وأمل كله وصب يزول عن طالبه أو يزول هو عنه وليس المؤمن بكامل الايمان إن لم يتحقق أنه يمشى على الصراط الذى هو أحد من السيف وأدق من الشعرة وان الجنة فى نهايته فيسارع اليها وأن الحطمة تحت قدميه فيخشى أن ينكب فيها وأن أعماله فى الميزان فيحب أن يثقلها بالعمل الصالح ذلك لان القرآن الشريف كرر تلك المعانى على المؤمن لتقوى الذكرى بها

فتكون ذكراً فلا تنسى ثم يتصورها الخيال فتنطبع فيه بأكمل جمالاتها فلا تغيب عن النفس طرفة عين وقد سأل صلى الله عليه وسلم سيدنا عمران بن حصين فقال له كيف أصبحت فقال أصبحت يارسول الله كأنى أرى عرش ربى وكرسيه فقال له صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فالمؤمن إذا قرأ آيات البشائر بالنعيم والرضوان بحث عن أهلها الذين يتفضل الله عليهم بهذا الفضل العظيم وفتش عن صفاتهم التى أتى الله بها عليهم فسارع اليها ومسارعته اليها هى مسارعة إلى المغفرة والجنة والرضوان قال الله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلو فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات

تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين ﴾
والمسارعة إلى تلك الصفات التى ذكرها الله انما هى مسارعة من
يعلم قدر النعمة التى ينالها والفضل العظيم الذى يفوز به والخير
العظيم الذى يحظى به من الله تعالى ويكون فى عمله هذا كأنه فى
أعلى مراتب الجنة تصديقا لوعد ربه وتلذذا بتوفيق الله له للعمل
بما يحبه فيكون كأنه فى جنتين . جنة روحانية وهى بهجة نفسه
بالتوفيق والعناية والهداية وجنة جسمانيه وهى تلذذه بطاعة ربه
فى تلك الدار الدنيا ويكون له جنتان يوم القيامة قال الله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان هذا ما ينكشف لك يا أخى عند
تلاوة آى البشائر والوعد فاذا أنت قرأت ايات الوعيد والعقاب
اقشعر جلدك وظهرت لك جهنم بما فيها كما أخبر الله تعالى ظهورا
يشيب لهوله الطفل . ونار الحجاب عن الله بسبب الأخلاق
والعقائد الباطلة التى تكب المرء على أم رأسه فى نار الغضب
وهى أشد من نار جهنم لانها المؤدية اليها وتخيلت أن من فعل

تلك الاعمال عذب بنارين نار نفسانية ونار جسمانية أما النار النفسانية فما يعلوه من الحزن والأسف وأما النار الجسمانية فما ابتلى به من معصية الله ويرى الجحيم أمامه مكاشفة قال الله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) فتصور يا أخى أعاذنى الله وإياك من الاعمال التى توجب غضب الله وسخطه وأليم العذاب يوم القيامة الذى توعد به الله المخالفين لوصاياه وارسمها على خيالك عند قراءة الآيات المقتضية لذلك ثم ابحث عن الاعمال والصفات والعقائد والأحوال التى تؤدى الى هذا العذاب الأليم فاجعل بينها وبينك كما بين المشرق والمغرب واجعل لك حصنا منيعا من سنة مولانا رسول الله ﷺ ووقاية من العمل بهدى السلف الصالح وخشية من ربك جل جلاله يحفظك الله بها من الوقوع فى مخالفته جل جلاله وكن يا أخى كالرجل الجائع الذى اذا ذكر له الطعام تنبهت شهوة الجوع فى معدته لتخيله طعمه وريحه فاذا ذكرت آيات البشائر والنعيم تنبهت الرغبة فى قلبك وتباعدت عما يوجب الحرمان منها .

ولقد كرر الله تعالى قصص الأنبياء وأخبار الجبارة وأحاديث المؤمنين فى كتابه لتتجمل عند التلاوة بكل تلك الأخلاق السنية وتتباعد عن صفات الجبابرة الطغاة وتتشبه بمن أثنى الله عليهم ووعدهم الخير المقيم . كن أنت يا أخى فى التلاوة المأمور والمنادى حتى تسمع كلام ربك من ربك جل جلاله وتتلقاه من حضرة رسول الله ﷺ فاذا قال ربك (أقيموا الصلاة) قلت لبيك وسعديك سمعا وطاعة لك يا ربى وإذا قال سبحانه (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) انكشفت لك حقيقة نجاستها وصارت أمامك انتن من الجيفة وأشد ألما من النار وقلت لا حول ولا قوة الا بالله . أعنى اللهم على ترك ما تكره والعمل بما تحب فتكون كأنك تخاطب ربك ويخاطبك ويتكلم معك وتتكلم معه ولا تقرأه كما ترجعه الآلة الحديدية وكما ترجعه الأمكنة الخالية كصدى الصوت فيحرم القارىء مشاهدة أنوار كتاب الله تعالى ويكون كأنه لم يقرأه أبدا .

واليك أيها القارىء ترويحا لنفسك حكمة نظمية فى التوبة .

قال رضى الله عنه

أتوب وفى قلبى ميول عن الذنب
وفيما مضى قد تبت ياقوم من ذنبى

عجيب أرانى إذ أميـل عن الهوى
أقارفه بعد الشبيبـة فى الشيب

وما الذنب إلا ظلمة فوق ظلمة
أشد ذنوبى غفلتى عن ضيا الرب

أأجهل بعد العلم والشيب إننى
وحق مقام الحب ياقوم فى غيب

أرى الوجه ما وليت وجهى ظاهرا
يواجهنى بالفضل فى وجهتى صوبى

أرى خلق القوام فى طول ليلهم
أنا النائم الغفلان فى السهو والحجب

ولولا وثوقى أن ربى غافر
لذبت من الخوف الشديد من الرعب

وذنبى عظيم خالقى لم تضره
ذنوبى وأوزارى وشكى أو ريبى

ولم ينتفع منى بذكر وشكره

أنا عبده الفانى لقد خفت من ذنبى

ولكننى أرجوه جل جلاله

تجـلى تواب ليمنحنى قربى

بفضلك ياوهاب فاغفر كبائرى

وبالفضل فارفعنى اليك بلا كسب

كبرت وشيبى عم جسمى جميعه

فهب لى منك الحب فى صولة الجذب

تفضلت أوليت العوالم نعمة

من البحر والافلاك والنبت والترب

عطايك لا تحصى وجودك وافر

على فتب حتى أتوب من التوب

فأن ذنوبى والكبائر كلها

وحقك لم تيئس ذليلا من الرب

مشاهد فى الصوم والتوب

من الصوم صومى فى صفاء قيامى
من التوب توبى فى ضيا أحرامى (١)

تجردت من رسمى ومقتضياته
وأشرق غيب فى انمحاء ظلامى (٢)

وغيبى سر البدء والرسم حاجب
ضياه عن الأبصار والأفهام (٣)

يجرد صومى الرسم والروح عندها
تليح لعقلى رتبة الالهام (٤)

يجرد عقلى التوب من ظل رسمه
ونفخة روح القدس كشف مقامى (٥)

ففى الصوم تركى مقتضى آدميتى
وفى التوب تركى لازم الاجسام (٦)

فصوم وتوب يجمعان ضيا الهدى
فيجمع محبوب على العلام (٧)

شرح لمعانى القصيدة السابعة

بقلم محمود ماضى أبو العزائم

(١) لما كان الصوم ترك لمعتاد الصائم كان القيام موجب لصفائه خصوصا وأن القيام صلاة والصلاة قسمها الله بينه وبين عبده الحديث القدسى (انى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى) ولما كان الاحرام تجرد من المحيط والمخيط فرارا الى الله تعالى أشار الامام رضى الله عنه الى أن من مقامات التوبة نوع هو التجرد لا من الذنوب فحسب بل من شهود حول التائب وقوته بالاستجابة لامره فرارا من شهود وجوده الباطل ألى وجوده الحق وبذلك يكون هناك تجانس بين الصيام والقيام وبين التوب والاحرام يحصل به الأنس بالله فى كلا الحالين والله أعلم

(٢) والصوم تجريد البشرية من مقتضيات عناصرها ومستلزمات طبائعها حتى يشرق عليها أنوار الغيب المصون بعد احتجاب ظلام النفوس باشراق أنوار القدوس

(٣) وهذا الغيب هو سر الايجاد المشار اليه فى الحديث القدسى (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق

في عرفوني) الذى حجبه عن الابصار المستنيرة والافهام الزكية هذا الرسم الكثيف .

(٤) الذى يجرده الصوم من مستلزماته الخاجية عندها يطيب للروح أن تكشف للعقل البشرى قبسا من نور الالهام .

(٥) وكما يجرد الصيام الجسم الانسانى من مقتضيات بشريته كذلك يجرد التوب عقله من ملابسات هذا الرسم حتى تسطع أنوار روح القدس على العقل فتكشف له سر مقامه . الحديث القدسى (أول ماخلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى لأثيبن بك ولأحاسبن عليك)

(٦) ولما كان الصوم والتوب يتفقان فى معنى الترك لزم الاشارة الى نوعى الترك فيهما فالصوم يخرج به الانسان من مقتضى أدميته كما أن التوب ترك لمعتاد الأجسام التى خلقت من أسفل سافلين الطبيعة .

(٧) ثم أشار رضى الله عنه الى ثمرة هذين التركين الصوم والتوب من حيث أنهما يشعان على العبد المؤمن ضياء الهدى القرآنى فيحصل بها الجمع على العلام سبحانه بسابق محبة الله للعبد المؤمن .

التائبون وتلاوة القرآن

يستحب للتائب أن يختم القرآن فى كل أسبوع ختمتين ختمة بالنهار وأخرى بالليل ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما وختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل بختمته أول النهار وأول الليل فان الملائكة تصلى عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وتصلى عليه إن كانت نهارا حتى يمسى فهذان الوقتان يستوعبان كلية الليل والنهار وفى الخبر لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث وأمر رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر أن يقرأ القرآن فى كل سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة عن يحى بن الحارث الديناري عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان عثمان بن عفان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم (القصص) وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى (ص) وليلة الأربعاء (بتنزيل) الى (الرحمن)

ويختم ليـلة الخميس وكذلك كان زيد ابن ثابت وأبى يختمان
القرآن فى كل سبع وعن ابن مسعود أنه قرأ القرآن فى سبع
ليال فكان يقرأ فى كل ليلة سبعه إلا أن ترتيب مصحفه على
غير ترتيب مصحفنا هـذا فلم يذكره وجماعة يذكر عنهم ختم
القرآن فى كل يوم وليلة .

واعلم أنه لايجد فهم القرآن من فيه بأدنى بدعة أو مصر
على ذنب او عبد فى قلبه كبر أو مقارف لهوى استكن فى قلبه
أو محب للدنيا أو عبد غير متحقق بالإيمان أو ضعيف اليقين
ولا من هو واقف عند مبناه غافل عن معناه ولا عبد يتتبع
حروفه وأخباره . ولا ناظر الى قول مفسر ساكن إلى علمه
الظاهر ولا راجع الى معقوله ولا قاض بمذاهب أهل العربية
واللغة فى باطن الخطاب أو فى سر (آلمر) وغيرها من رموز
القرآن الشريف فهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون إلى
ما يقدر فى علومهم موقوفون مع ما تقرر فى عقولهم . مزيدهم
على مقدار علومهم وغرائز عقولهم . وهؤلاء مشركون بعقولهم
وبعلومهم عند الموحدين وهذا داخل فى الشرك الخفى — لأن

العقل الكامل ما عقل عن الله عز وجل وفهم حكمته وكلامه ـ
وقد قال رسول الله ﷺ فى صفة كمال العقل ـ العاقل من عقل
عن الله سبحانه وتعالى أمره ونهيه ـ وفى الخبر أكثر منافق
أمتى قراؤها ـ فهذا نفاق الوقوف مع سوى الله تعالى والنظر
إلى غيره . لا نفاق الشرك والانكار لقدرة الله عزوجل ، وهذا
لا ينتقص من التوحيد ولكنه ينتقص من مقام طالب المزيد
فإذا كان العبد ملقيا السمع بين يدى مولاه مصغيا إلى سر كلامه
شهيد القلب لمعانى صفات شهيده ناظراً الى قدرته تاركا لمعقوله
ومعهود علمه متبرئا من حوله وقوته معظما للمتكلم واقفا على
حضوره مفتقراً الى الفهم بحال مستقيم . وقلب سليم . وصفاء
يقين وقوة علم وتمكين سمع . فقه الخطاب وشهد علم غيب
الجواب ـ وأفضل القراءة الترتيل لأنه يجمع بين الأمر والندب
وفيه التدبر والتذكر ـ عن سيدنا على كرم الله وجهه ـ لا خير
فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها ـ وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ـ لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما
أحب الى من أن أقرأ القران كله هذرمة ـ وروى عنه أيضا ـ

لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب الى من أن أقرأ البقرة وال عمران تهذرا - وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى صلاة فكان قيامهما واحدا الا أن أحدهما قرأ البقرة والآخر قرأ القران كله - فقال هما فى الأجر سواء لأن قيامهما كان واحدا وأفضل الترتيل والتدبر فى القران ما كان فى صلاة - وقال بعضهم انى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر ،

أدبهم فى الاستماع للقرآن الكريم

معلوم أن الجلوس لسماع القران من حافظ يتلوه من السنة وقد سمعه ﷺ من أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وعجب أبو موسى عند ماطلب منه رسول الله ﷺ فقال أسمعك يارسول الله وعليك أنزل فقال ﷺ أنى أحب أن أسمعه من غيرى ولا انكار على من اجتمعوا وبينهم حافظ يسمعهم كلام الله تعالى . إذا استحضروا بقلوبهم مايسمعون من كلام الله جل جلاله وأصغوا اليه اصغاء يليق بأدب من يسمع كلام الله تعالى ملاحظا ماقدمته ولكن المنكر ماأبدعه

أهل الغفلة من اجتماعهم على قارىء يسمعون صوته ويجهلون قدر الخطاب فتراهم يسمعون آيات الوعيد للعصاة والزجر عن أفعال الشر والتشنيع على فاعل الفحشاء مما تذوب له الأكباد وتقشعر له الجلود فيصيحون مبتهجين بلذة النغم غافلين عن معنى الخطاب وإذا قرأ القران أمامهم من لا يحسن التوقيع أو كان رديىء الصوت صرفوا وجوههم عنه كأنهم لم يسمعوا كلام الله وذلك من غفلة قلوبهم وجهلهم بقدر القران الشريف وأن ذلك لمن أكبر المنكرات .

حكم تلاوة القرآن فى المآتم والأفراح

لم يكن فى عهد السلف الصالح الاجتماع فى الأحزان على قارىء ولا فى الأفراح وهى بدعة ولكن لا بد لوضعها من سر والغاية تبرر الوسيلة فان كان المراد بهذا العمل تنبيه القلب بكلام الله تعالى ليصبر المصاب ويفوض أمره إلى الله ويرضى بقضاء الله فهى بدعة حسنة والبدعة الحسنة فى حكم المرغب فيه وقد تكون مؤكدة لمحو البدع المضلة فأن المصابين قد يجتمع

عليهم الناس فيعملون أعمالا تغضب الله وتعذب الميت فاذا سمعوا كلام الله لانت قلوبهم وخشعت من خشية الله ورضوا عن الله وكفى بالقرآن واعظا وكذلك فى الأفراح فان الناس يتغالون فى أفراحهم وقد يرتكبون الآثام لما يعرو القلب عند نشوة الفرح من الغفلة الموجبة للفخر والرياء والخروج عن الاعتدال فإذا جلس بينهم قارىء للقرآن واصغوا اليه اقشعرت جلودهم وتحققوا أن الدنيا دار فانية وأن اللذة الحقيقية فى الجنة فامتنعوا عن الافراط والتفريط . هذا العمل إن كانت الغاية منه ماقررته فهو وإن لم يعمل به السلف الصالح الا انه فى زماننا هذا يكاد أن يكون سنة مؤكدة فان كانت الغاية منه الفخر والرياء وسماع الأصوات والألحان فهو المنكر حقا ولا يليق بمؤمن أن يعمل منكرا فى أحزانه وأفراحه فان المؤمن فى أحزانه مضطر الى الله تعالى وفى وقت أفراحه منعم عليه يجب عليه أن يشكر الله ليديم له الفرح فان عصى الله فى حزنه وعصى الله فى فرحه عرض نفسه للبلاء ؟

الصيام جهاد والتوب جهاد

الصيام جهاد الجسم وسياحة للعقل ومشاهدة للروح ومن صام بتلك الحقائق فقد نفذ من أقطار السموات والأرض بسلطان الحق ومن صام صيام أهل العادة فترك الأكل والشراب وملامسة النساء ولم يجاهد نفسه ولم يسبح بعقله ولم يشهد بروحه فليس له من صيامه الا الجوع والعطش ولا من قيامه الا العناء والسهر

والصيام التجرد من الانسانية بعد التجرد من الحيوانية وكيف لا يكون كذلك والله تعالى يقول (انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا) لأن الصيام خروج من مرتبة الانسانية للأتحاد بالمكانة الملكوتية فالصائم لا يتكلم مع الانسان مع أنه يجانسه وقال سبحانه (قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) فنفت الآية الأولى كلام الاناسى ولم تنف الكلام مع الملائكة وفى الآية الثانية نفت كلام الأناسى واثبتت الكلام مع الملائكة وذلك لأن الحقائق الحيوانية امسكت عما تقتضيه المجانسة بجاهدة لتفوز بالمشاهدة . والصيام لغة الصمت والصيام عند الصوفية صولة الروح على الجوارح صولة تجعلها تجانسها

مجانسة ما فيجاهد فى سبيل الاتحاد بها من حيث ما تقتضيه الروح
فى حقيقتها وبكمال تلك الحقيقة تمنح الجوارح قبسا من الملكوت
الأعلى تنال به الرفعة عند ردها الى أسفل سافلين وبتلك الرفعة تتلقى
من ربها كلمات الأنابة الموصلة الى المقام الذى اكرمها ربها به
فى الرتبة الآدمية الا أن آدم اسكن فى مقام الزوجية النفسانية
الجنة متمتعا بنعيمها وهذا الصائم يكرم بدخول جنة الرضا متنعما
بأسرارها لتجرده من مقتضيات الجوارح المجترحة بترك ما
ابيح له مما لا بد منه والاقامة فى محاب الله ومراضيه فيكون صائما
بكل جوارحه مع وجود المقتضى لا فقده وهو الجهاد الأكبر
جهاد الحس والنفس والعقل والجسم معنى قوله صلى الله عليه
وسلم (الصيام جنة) وليس بصائم من ترك ما ابيح له ووقع فيما
حرم الله عليه وعلامة قبول الصيام تخلق الصائم بأخلاق الله أو
على الأقل بأخلاق عالم الطهر الروحانى من عمار الملكوت
والصيام سياحة عظمى قال الله تعالى (السائحون) بمعنى الصائمين
والصيام صبر على خرق العادة وبذلك يكون الصائم مع الله
(إن الله مع الصابرين) والصابرون من معناها الصائمون فجاهد

نفسك فى الصيام بأن تتخلق بتلك الأخلاق مهما ضحيت بكل غال ورخيص فى سبيل ذلك لتفوز بمعية الله لك وبقدر نزوع النفس إلى مايخالف تلك الآداب وقهرها عليها تكون رفعتك وقربك وفقنا الله الى صيام به نجالس العالم الاعلى أنه مجيب الدعاء .

تعالوا نزك أنفسنا

إن للقلوب آذان ولكنها لاتسمع إلا من السنة القلوب ولها عيون ولكنها لاتبصر الا بعد ظهور الغيوب وللارواح عيون ولكنها لا تبصر الا بالبصير إذا سعدت بموالاة العليم الخبير . ومن ابصر بعيون القلوب شهد الآيات ومن أبصر بعيون الارواح شهد التجليات . ومن كان الحق سمعه وبصره شهد ما لم يبين بعبارة ولا بأشارة وهنا تسجد الارواح فكيف يكون حال الاشباح .هى سواطع انوار تخطف الابصار وتتكشف للبصائر حتى تسمع بالسميع وتبصر بالبصير وانما ترى الحق إذا نفذت من محيط الخلق والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ .

انما تكون الوسعة من الله لعبيده بقدر ما منحهم من وسعة قلوبهم لعباده . والله واسع عليم . ومتى احب الله العبد منحه الوسعة وخير الوسعة أن يخلقه بأخلاقه ويتفضل عليه بجمال الرضا عنه فيرضى العبد عن ربه بعد رضاه ربه عنه . ومقام الرضا فوق المقامات وهو سر التحقق بالعبودة بعد العبودية والعباده . (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)

الصفاء معراج الاصطفاء والصفا تزكية النفس بالوقوف عند آداب الشريعة المطهرة حتى تجانس عالم الطهر وبمجانستها لهذا العالم لاتقوى قوى الجسم على تظليلها بظلال الهوى فيحجبها عن مجانسها فأنها إذا تزكت مالت عن مفارقها الى ما يقتضيه جوهرها الصافى ولديها لاتقوى القوى الاخرى أن تتسلط عليها فتشغلها بخصوصياتها ويكون لها السلطان على جميع الهيكل الانسانى

العلم والعمل

اتفق أئمة العارفين على أنه لانجاة إلا بمعرفة الله تعالى وان العلم بالله هو وحده النجاة فى الدنيا والآخرة ولم يختلف عليهم الا

من لم يفقهوا ما يريدونه فظنوا ان العارف بالله ناج ولو ترك العمل بمقتضى اوامر الله تعالى الا أن العلم بالله تعالى يكسب الخشية التى تجعل القلب يتمثل عظمة أعجزت الارواح وفضلا عظيما أعجز العقل حصره فيجذبه العلم بالله إلى القيام بكمال شكره والشكر عندنا هو العمل قال سبحانه (أعملوا آل داود شكرا) فمرادهم بالعلم العلم الذى يجذب الى المسارعة لنيل رضوان الله بالعمل بمحاب الله ومراضيه فان العلم عندهم أن يرسم على جوهر النفس صورة المعلوم سبحانه حتى تكون هذه الصورة معالم بين عينى العالم باليقين الحق انه عبد لرب قادر منعم حكيم ومثل هذا لا يغفل إذا غفل الغافلون فهو بين حضور اتحادى أو استحضار جذبى . اذا فمراد الأئمة رضى الله عنهم بالعلم العلم الذى ينتج الخشية من الله تعالى لا ما يتلقاه المتعلمون من علم الاحكام ومن علم الجدل فى العقائد ومن علم الأدب فانها علوم قد تكسب قسوة لا خشية وعملا لا يكون معتمدا على العلم لا يقبل قال سبحانه (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقال سبحانه (قل هل يستوى الذين يعلمون

والذين لا يعلمون ، فسوء الظن بالأئمة من الجهل بحقيقتهم ومن قال بان العلم ينجي من غير عمل فليس من النـاجين فضلا عن أن يكون من الأئمة اللهم إذا ضاق الماعون عن قبول الفيض فذهبت الحقيقة وتمزقت اللطيفة واختل الميزان وثبت الإيمان قال تعالى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) حفظنا الله واخواننا بالصدق فى متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل بما كان عليه سلفنا الصالح .

رعاية الوقت

الظهور له سبحانه وانت المظهر فهو سبحانه يظهر بما يشاء وكيف شاء وأنت محل التأثير والتأثر فاعط كل ظرف مقتضاه فى وقته بحسب ظهوره هو لا بحسب ظهورك انت والحظ انك عبد لرب فاعل مختار مربوب له ومظهر لظهور ما تقتضيه ارادته أو ابدعته قدرته وأدرك حكمة الظهور منه فيك حتى تكون له مخلصا به فاذا أورد عليك وارد الحق من محابه ومراضيه (فلا

تقولن لشيء أنى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) لأنك تجهل
ماتقتضيه ارادته وتعجز عن تنفيذ ما ورد عليك الا به ولا
وثيقة لديك على بقائك لنفس آخر فاذا تحققت بكمل التوحيد ورد
عليك وارد التوحيد فى مشهد محو الواحد بالأحد نسيت من
سواه به ظهورا وفى هذا المقام يحلو الذكر ويلذ الفكر وتشهد
حقيقة (واذكر ربك إذا نسيت) فاذا كنت مع المرشد معية
اتحاد . لك منه الا سوة ونسيت هذا الشهود فاستعذ بالله من
النسيان وتادب علما وقل (وما أنسانيه الا الشيطان أن اذكره)
فاذ ذكرت حضورا فالحظ مافوق ذلك من بهاء يخطف ساطع
أنواره الأرواح وضياء تسجد دون فنائه العقول وجلال أخشع
القلوب وجمال هيم النفوس وكمال خفيت معالمه على الأرواح
القدسية واقبل ضارعا واسأل خاشعا راجيا ومحققا طامعا قائلا
عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا) فاذا راعيت مالربك
جل من الفضل والاحسان وأن كنت ياأخى لاتستحق ماتفضل
به عليك من الجمال والحنان ولكنه سبحانه وتعالى يقول(ولدينا
مزيد) وخير عباده من عرف نفسه بالبذل فى المراتب الأربع

وعرف ربه بالعجز عن ادراك ماظهر من آياته وقوى طمعه مع
دناءة رتبته فان الله رغبنا بما به بشرنا قائلا (وأنتم الاعلون
والله معكم) والله ذو فضل عظيم

التقرب إلى الله

التقريب جذبة العناية والتقرب جذبة الولاية فكن فى مقام
تقربك عظيم الرعاية . وفى مقام تقريبك مسارعا الى ما فرض
عليك مهما قهرك الحال الجاذب

فى مقام التقرب دقائق العلم وخفى الايات وعظيم الفتن
فحافظ فى هذه المقامات على انفاسك فان الاحداث والكائنات
تنادى (انما نحن فتنة فلا تكفر) وكمال الادب فى هذا المقام
أن تجعل قلبك الذى هو حقيقتك الانسانية مقبلا بالكلية على
ربه وأن يقبض بيمينه على ميزان الشريعة فتنفذ ما كان حقا
وتترك ما ليس بحق وتقف عندما لايتبين لك وجه الحق فيه
حتى يستبين لك ولو جذبتك جواذب الشهود أو دفعتك دوافع
الامل أو رغبتك مقتضيات الشهوة والحظ فان رقيك فى مقام

جهادك لنفسك فوق رقيك فى مقام بسطك أو أنسك .
لاتشتغل بتدبير الشؤون بل اشتغل أو لا وبالذات بفهم الحكمة
فيها ثم بمراد الله منها ثم بحكمة الله عند نزولها لتكون ممن بشرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم (احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده أمامك أو تجاهك . كن مع الله ترى الله معك) .

لباس التقوى

ان هناك لباس يحفظك من الآثار وآخر يحفظك من الابصار
ولباس يحفظك من شيطان الحظ ووحش الشهوة وبهيم الهوى
وطمع النبات وجبن الجماد وهو خير لباس يهبك الله به تكون
فى جنة الشهود ونعيم الوجود من غير كد ولا جهود (ولباس
التقوى ذلك خير) وهذا الثوب القشيب والحلة البهية هى حفظ مرتبتك
عبدا عابدا لرب قادر حكيم معبود وباطن هذه الحلة كمال اليقين
بقدره وظاهرها جمال صفات ربك فالبسها شاكرا من وهب
لك ظاهرها وحاضرا بالفضل برتبتك مع من صاغك بيديه

للسارع بما وهب لك منه اليه . اعط كل ذى حق حقه واحفظ لنفسك حقك تكن عند ربك ولديها يغنيك الله بحلة الجمال الموهوبة منه لك عند كل ماتجهد نفسك فى نيله والحظ قوله تعالى ﴿ لهم مايشاؤن عند ربهم ﴾

« تم بحمد الله وحسن توفيقه كتاب التائبون »

« وسيليه بأذن الله كتاب الجمعيات »

تنبيه : سقطت كلمة (أخذ) من السطر الثامن من صفحة ٢٥ وصحة الجملة (واعلم أن من أخذ نفسه)